

## الْفَضْلُ الثَّانِي عَشْرِينَ التَّوَكُّلُ

من أعظم وأهم العبادات القلبية والقربات الباطنة الواجبة توكل العبد على ربه واعتماده بقلبه عليه وتفويضه الأمر إليه، والتوكل نصف الدين وعمل القلب وهو صفة ثابتة أصيلة للأنبياء والمرسلين وأتباعهم ومن سار على دربهم من المؤمنين الصادقين، وبه ينال العبد كفاية الله ورعايته، وحفظه إياه وعصمته له، وبه يزداد إيماناً وكرامة وقرباً إلى الله جَلَّ جَلَالُهُ، وبه يكون الثبات والتوفيق والسداد، والهداية والنصرة والرشاد، ومن حرم التوكل فهو حيران حائر، مخذول خاسر، متعثر متخبط تائه.

وما أحوجنا في هذا الآن إلى مدارس معنى التوكل وإبراز حقيقته لناخذ به في كل عمل وعبادة وطاعة فما لا يكون بالله لا يكون وما لا يكون لله لا ينفع ولا يدوم وسوف يكون الحديث عن التوكل على هذه الصفحات بإذن الله جَلَّ جَلَالُهُ من خلال المحاور والعناصر الآتية:

### تعريف التوكل

**التوكل لغة:** كما قال ابن منظور في لسان العرب: المتوكل على الله يعلم أن الله كافل رزقه وأمره فيركن إليه وحده ولا يتوكل على غيره، قال ابن سيده: وكل بالله وتوكل عليه واتكل استسلم إليه، يقال: توكل بالأمر إذا ضمن القيام به ووكلت أمري إلى فلان أي ألقته إليه واعتمدت فيه عليه، ووكل فلان فلاناً إذا استكفاه أمره ثقة بكفايته أو عجزاً عن القيام بأمر نفسه، ووكل إليه الأمر سلمه<sup>(١)</sup>.

(١) «لسان العرب» لابن منظور (٧٣٤/١١) ط. العبيكان.

**وأما معنى التوكل اصطلاحاً:** فهو صدق اعتماد القلب على الله في جلب المنافع ودفع المضار مع الأخذ بالأسباب<sup>(١)</sup>.

وقال الإمام أحمد: التوكل عمل القلب. معنى ذلك أنه عمل قلبي ليس بقول اللسان ولا عمل الجوارح ولا هو من باب العلوم والإدراكات.

قال سهل: التوكل الاسترسال مع الله مع ما يريد وسئل يحيى بن معاذ: متى يكون الرجل متوكلاً؟ فقال: إذا رضي بالله وكيلاً.

وقال ذو النون: هو ترك تدبير النفس والانخلاع من الحول والقوة وإنما يقوى العبد على التوكل إذا علم أن الحق سبحانه يعلم ويرى ما هو فيه.

وقال بعضهم: التوكل التعلق بالله في كل حال وقيل: نفي الشكوك والتفويض إلى مالك الملوك<sup>(٢)</sup>.

وقيل: التوكل قطع علائق القلب بغير الله.

وقيل: التوكل هجر العلائق ومواصلة الحقائق.

وقيل: التوكل هو التسليم لأمر الرب وقضائه.

وقيل: هو التفويض إليه في كل حال.

والقول الأول: الذي ذكرته عن الحافظ ابن رجب أوضح الأقوال وأظهرها لمعنى التوكل والله تعالى أعلم.

(١) «جامع العلوم والحكم» للحافظ ابن رجب ص [٥٥٧] ط. دار الحديث.

(٢) «مدارج السالكين» لابن القيم بانتقاء (١/٥٢٦-٥٢٨) ط. دار المنار.

## أركان التوكل وحقيقته

من خلال ذكر التعريف السابق يتضح أن التوكل يبنى على ركنين لا بد منها لتحقيقها:

**الأول- الثقة في الله عَزَّجَلَّ** وتتمام الاعتماد عليه والاستسلام لحكمه وتفويض الأمر إليه واليأس مما في أيدي الناس وذلك يتأتى من خلال اعتقاد العبد أن الله جَلَّجَلَّاهُ هو الذي يملك النفع والضرر وحده، وأن خزائن كل شيء بيده، وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وأنه لا يحدث شيء في هذا الكون إلا بمشيئته وحده جَلَّجَلَّاهُ قال الله تعالى:

﴿ وَإِن يَمَسَّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمَسَّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١٧ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ۝١٨﴾ [الأنعام: ١٧-١٨]، وقال تعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ۝٢١﴾ [الأنعام: ٢١]، وقال جَلَّجَلَّاهُ: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُوتِي الْمَلِكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٦﴾ [الأنعام: ٢٦].

والناس كلهم فقراء محتاجون، عباد مقهورون لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرراً:

﴿ يَتَّيَّبُ النَّاسُ الْفُقَرَاءَ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ۝١٥﴾ [فاطر: ١٥]، والملائكة الذين هم عباد الله المقربون والذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون لا يملكون لأحد نفعاً ولا ضرراً إلا بإذن الله سبحانه الذي قال في كتابه: ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝٣٦ لَا يَسْئُرُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ۝٣٧﴾ [الأنبياء: ٣٦-٣٧]، والنبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي هو سيد ولد آدم وإمام الأنبياء والمرسلين إنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً لأنه عبد من عباد الله وبشر من البشر لكنه سيدهم وقودتهم وإمامهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال الله

تعالى: ﴿ قُلْ لَا أَمْرًا لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾ [يُونُسُ: ٤٩]، وإذا قيل هذا في سيد الخلق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإنه يجب أن يوقن كل من آمن بالله أنه لا يملك النفع والضرر وكشف البلاء والشفاء إلا الله جَلَّ جَلَالُهُ فلتقطع كل الآمال إلا في الله وحوله وقوته ولينقطع رجاءك إلا في الله جَلَّ جَلَالُهُ فهو وحده الذي بيده كل شيء وكل من سواه لا يملك أي شيء قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ ﴾ [الْإِنشَاء: ١٩٤].

**والركن الثاني من أركان التوكل** والذي لا يصح ولا يكون إلا به هو الأخذ بالأسباب قال ابن القيم عليه رحمة الله: وأجمع القوم على أن التوكل لا ينافي القيام بالأسباب فلا يصح التوكل إلا مع القيام بها وإلا فهو بطالة وتوكل فاسد.

قال سهل بن عبد الله: من طعن في الحركة فقد طعن في السنة، ومن طعن في التوكل فقد طعن في الإيثار فالتوكل حال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والكسب سنته فمن عمل على حاله فلا يترك سنته<sup>(١)</sup>.

والقرآن والسنة قد ورد فيهما أمثلة لا حصر لها على لزوم الأخذ بالأسباب.

ومن أمثلة ذلك قول يوسف الصديق عَلَيْهِ السَّلَامُ لأهل مصر: ﴿ فَأَحْصَدْتُمْ فِذْرُوهُ فِي سُئْبِلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا نَأْكُلُونَ ﴾ [يُونُسُ: ٤٧]، قال ابن الجوزي: ﴿ فِذْرُوهُ فِي سُئْبِلِهِ ﴾ فإنه أبقى له وأبعد عن الفساد<sup>(٢)</sup>، وقال صديق حسن خان: ﴿ فَأَحْصَدْتُمْ ﴾ في كل سنة من السنين المخضبة ﴿ فِذْرُوهُ ﴾ أي: ذلك المحصود ﴿ فِي سُئْبِلِهِ ﴾ وقصبه ليكون القصب علفًا للدواب ولا تفصلوه عنها لئلا يأكله السوس كما هو شأن غلال مصر ونواحيها<sup>(٣)</sup>.

(١) «مدارج السالكين» (١/٥٢٧)، ط. دار المنار.

(٢) «زاد المسير في علم التفسير» (٤/١٧٩)، ط. دار الكتب العلمية.

(٣) «فتح البيان في مقاصد القرآن» (٣/٤٢٥)، ط. دار الكتب العلمية.

ومن ذلك قول الله عَزَّوَجَلَّ لمريم: ﴿وَهَزَىٰ إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِينًا ۝٥٥﴾ فِكْلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ﴿ [بَرَاءة: ٢٥-٢٦]. أمر الله مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ بأن تهز جذع النخلة ليتساقط عليها الرطب ليكون الهز سبباً لذلك برغم أنها امرأة في المخاض وحالها من الضعف لا يخفى ولو اجتمع عشرة رجال هز النخلة ما استطاعوا ولكنه مجرد سبب يحصل به المقصود والله تعالى أعلم قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: استدل بعض الناس من هذه الآية على أن الرزق وإن كان محتوماً فإن الله تعالى قد وكل ابن آدم إلى أي سعي بأي شكل مباح؛ لأنه أمر مريم بهز النخلة وكانت الآية تكون بالأهز (١).

ولله در من قال:

توكل على الرحمن في الأمر كله      ولا تؤثرن العجز يوماً عن الطلب  
ألم تر أن الله قال لمريم      وهزي إليك الجذع يساقط الرطب  
ولو شاء أن تجنيه من غير هزها      جنته ولكن كل رزق له سبب

ومن ذلك أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى قال: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: ٧١]. وكذلك قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ ءَعِدُوا لِلَّهِ وَعَدُّوْكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

ومع يقيننا بأن الرزق مقدر مكتوب، لكن الله أمرنا بالسعي في طلبه وتحصيله، قال تعالى: ﴿فَأْمْسُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ [المائدة: ١٥]، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الحجرات: ١٠].

وأعظم المتوكلين هو رسول الله محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومع ذلك كان يأخذ الزاد في السفر ويتقي الحر والبرد ولما خرج يوم أحد ظاهر بين درعين (٢)، ولبس البيضة على

(١) «الجامع لأحكام القرآن» [بتصرف] [٨٨/٦]، ط. دار الحديث.

(٢) كما روى ذلك أبو داود برقم [٢٥٩٠]، وابن ماجه برقم [٢٨٠٦]، وصححه الألباني في «صحيح أبي

داود» [٢٣٣٢].

رأسه، وفي غزوة الأحزاب حفر مع الصحابة الخندق حول المدينة لرد عدوان قريش وأحلافها، وفي حادثة الهجرة استأجر هاديًا خريئًا يدلّه على الطريق<sup>(١)</sup>، وكمن في غار ثور ثلاثة أيام مع صاحبه الصديق حتى يهدأ الطلب والسنة مملوءة بهذا المعنى لمن فتنه عنه وقصد الوقوف عليه، بل إن الإيمان والعبادة ما هي إلا أسباب لدخول جنة الله جلّ جلاله.

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَد قَضَى بِحُصُولِ الشَّيْءِ عِنْدَ حُصُولِ سَبَبِهِ مِنَ التَّوَكُّلِ وَالِدُعَاءِ، فَنَصَبَ التَّوَكُّلَ وَالِدُعَاءَ سَبَبَيْنِ لِحُصُولِ الْمَطْلُوبِ وَقَضَى اللَّهُ بِحُصُولِهِ إِذَا فَعَلَ الْعَبْدُ سَبَبَهُ، فَإِذَا لَمْ يَأْتِ بِالسَّبَبِ امْتَنَعَ الْمَسْبُوبُ، وَهَذَا كَمَا قَضَى بِحُصُولِ الْوَلَدِ إِذَا جَامَعَ الرَّجُلُ مِنْ يَجِبُهَا، فَإِذَا لَمْ يَجَامَعْ لَمْ يَخْلُقِ الْوَلَدَ.

وقضى بحصول الشبع إذا أكل، والري إذا شرب فإذا لم يفعل لم يشبع ولم يروا، وقضى بحصول الحج والوصول إلى مكة إذا سافر وركب الطريق فإذا جلس في بيته لم يصل إلى مكة، وقضى بدخول الجنة إذا أسلم وأتى بالأعمال الصالحة فإذا ترك الإسلام ولم يعمل الصالحات لم يدخلها أبدًا.

وقضى بإنضاج الطعام بإيقاد النار تحته، وقضى بطلوع الحبوب التي تزرع بشق الأرض وإلقاء البذور فيها فما لم يأت بذلك لم يحصل إلا الخيبة.

فالتوكل من أعظم الأسباب التي يحصل بها المطلوب ويندفع بها المكروه، فمن أنكر الأسباب لم يستقم منه التوكل، ولكن من تمام التوكل عدم الركون إلى الأسباب وقطع علاقة القلب بها، فيكون حال قلبه قيامه بالله لا بها وحال بدنه قيامه بها، فالأسباب محل حكمة الله وأمره ودينه، والتوكل متعلق بربوبيته وقضائه وقدره، فلا تقوم عبودية الأسباب إلا على ساق التوكل ولا يقوم ساق التوكل إلا على قدم العبودية<sup>(٢)</sup>.

(١) كما في البخاري في كتاب «الإجارة» برقم [٢٢٦٣].

(٢) «المدارج» (١/ ٥٣٠-٥٣١) باختصار.

## حكم التوكل

التوكل على الله فرض واجب على كل من آمن بالله وكذلك هو شرط من شروط الإيمان قال الله تبارك تعالي: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [الْعَنْكَبُوتُ: ١٦٠]. وقال تعالي: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ (١٧) الَّذِي يَرِنُّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿[الشُّعْرَاءُ: ٢١٧-٢١٨]. وقال تعالي: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الْإِنشَاءُ: ٣]. وقال عَزَّجَلَّ: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الْمَائِدَةُ: ٢٣].

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في كتاب التوحيد باب، قول الله تعالي: ﴿فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ فيه مسائل الأولى- أن التوكل من الفرائض، الثانية- أنه من شروط الإيمان.

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن: وأراد المصنف رَحْمَهُ اللَّهُ بهذه الترجمة بالآية بيان أن التوكل فريضة يجب إخلاصه لله تعالي؛ فإن تقديم المعمول يفيد الحصر أي وعلى الله فتوكلوا، لا على غيره فهو من أجمع أنواع العبادة وأعظمها لما ينشأ عنه من الأعمال الصالحة فإذا اعتمد على الله في جميع أموره الدينية والدينية دون كل من سواه صحَّ إخلاصه ومعاملته مع الله تعالي<sup>(١)</sup>.

## فضائل التوكل

من مقتضيات عقيدة المؤمنين الصادقين أنهم على ربهم يتوكلون، وعليه سبحانه يعتمدون بقلوبهم، يرجعون إليه في جميع أمورهم، فهم لا يرجون سواه، ولا يقصدون إلا إياه، ولا يرغبون إلا إليه؛ وذلك لعلمهم ويقينهم بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأن الله سبحانه هو المتصرف في الملك وحده ولا منازع لحكمه ولا راد لقضائه وأمره،

(١) «فتح المجيد بشرح كتاب التوحيد».

ومما يحث على التوكل وعلى زيادته في القلب تعلم فضائله ومعرفة ثمراته والوقوف على فوائده ونتائجه الكريمة العظيمة، ومن فضائل التوكل ما يلي:

### ١- من توكل على الله كفاه:

الله أكبر يا لها من ثمرة تجعل العاقل حريصاً كل الحرص على تحقيق التوكل في شئون حياته كلها، قال الله جَلَّالُهُ: ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ ۗ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۗ ﴾ [الطلاق: ٣]، فهو حسبه: أي كافي، من توكل على الله القوي القادر، العزيز القهار الفعال لما يريد فإن الله تعالى يكفيه كل ما أهمه كما قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ۗ ﴾ [الزمر: ٣٦]، وهذا استفهام إنكار على طالب الكفاية من غير الله والتارك للتوكل عليه سبحانه وبحمده، قال ابن القيم في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۗ ﴾ [الطلاق: ٣]، أي كافي، ومن كان الله كافيه وواقيه فلا مطمع فيه لعدوه ولا يضره إلا أذى لا بد منه كالحر والبرد والجوع والعطش، أما أن يضره بما يبلغ به مراده منه فلا يكون أبداً، وفرق بين الأذى الذي هو في الظاهر إيذاء وفي الحقيقي إحسان، وبين الضرر الذي يتشفى به منه، قال بعض السلف: جعل الله لكل عمل جزاء من نفسه، وجعل التوكل عليه نفس كفايته فقال: ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۗ ﴾ فلم يقل له كذا وكذا من الأجر كما قال في الأعمال بل جعل نفسه سبحانه كافيّاً عبده المتوكل عليه وحسبه وواقيه، فلو توكل العبد على الله حق توكله وكادته السماوات والأرض ومن فيهن لجعل الله له مخرجاً وكفاه رزقه ونصره<sup>(١)</sup>.

وقال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۗ ﴾ [الانفصان: ٤٩]. أي: عزيز لا يذل من استجار به، ولا يضيع من لاذ بجنابه والتجأ إليه، حكيم لا يقصر عن تدبير من توكل عليه في تدبيره، وقال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ

(١) «بدائع الفوائد» (٢/٤٦٥).

عِبَادُ أَمْثَالِكُمْ ﴿ [الإعراق: ١٩٤]. بين الله تعالى أن كل ما سوى الله تعالى عبد مسخر حاجته مثل حاجتكم؛ فكيف يتوكل عليه؟! (١).

ومما يدل على أن الله عَزَّوَجَلَّ يحفظ من توكل عليه قول الله جَلَّ جَلَالُهُ عن مؤمن آل فرعون الذي جهر بالحق بعد أن كان يكتتم إيمانه ودافع عن رسول الله موسى عليه الصلاة والسلام ولكنه قال كلمة الحق عند هذا السلطان الجائر متوكلاً على ربه مفوضاً أمره إليه فحماه الله وحفظه من كيد فرعون وقومه قال الله تعالى عن هذا العبد الصالح: ﴿ فَسَتَذَكَّرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفُوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [٤٤] فَوَقَّهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَّا مَكْرُوهًا وَحَاقَ بِكَالٍ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿ [تِجَارَةٌ: ٤٤-٤٥].

## ٢- التوكل عصمة ونجاة من الشيطان وكيدته:

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [التحالف: ٩٩]. فليس للشيطان تسلط قط على أهل الإيمان والتوكل، ومن صدق في توكله اندفع عنه كيد الشيطان ووسوسته وشره وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾ [الأنعام: ٦٥]. وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من قال يعني إذا خرج من بيته: بسم الله، توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، يقال له: هديت وكفيت ووقيت وتنحى عنه الشيطان» (٢). وفي زيادة لأبي داود «فيقول يعني الشيطان لشيطان آخر: كيف لك برجل قد هدي وكفي ووقى» لقد صار هذا المتوكل على ربه في حصن، حصين وحرز مكين من كيد الشياطين وكفى بحفظ الله حفظاً وكفى بوقاية الله وقاية!! واسمحوالي أن أتساءل معكم: هل إذا خرجت من بيتك تحافظ

(١) «إحياء علوم الدين» لأبي حامد الغزالي (٤/ ٣٥٤)، ط. دار المنار.

(٢) رواه أبو داود برقم [٥٠٩٥]، والترمذي برقم [٣٤٢٦]، وصححه الألباني في «صحيح الجامع»

على هذا الذكر؟! هل تستعين بالله تعالى عند خروجك من بيتك وتتسلح بهذه الوقاية الحصينة؟! لبتك تداوم عليه فتحفظ وتكفي وتعصم!

### ٢- توكلك على الله سبيلك إلى جنته:

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير»<sup>(١)</sup>، قال الإمام النووي عليه رحمة الله: مثلها في رقتها وضعفها كالحديث الآخر «أهل اليمن أرق قلوباً وأضعف أفئدة» وقيل: في الخوف والهيبة، والطيور أكثر الحيوان خوفاً وفزعاً كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فَاطَةُ: ٢٨]، وكأن المراد قوم غلب عليهم الخوف كما جاء عن جماعات من السلف في شدة خوفهم وقيل: المراد متوكلون<sup>(٢)</sup>.

وإذا صدق العبد في تحقيق التوكل وعاش به وعليه فإن ذلك يؤهله ويوصله إلى درجات كريمة عالية وذلك بأن يكون مع السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب وإنما كان ذلك ثوابهم لكمال توكلهم على الله جَلَّ جَلَالُهُ والحديث في ذلك مشهور معروف وهو في الصحيحين من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عرضت عليّ الأمم فرأيت النبي ومعه الرهيط والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد إذ رفع لي سواد عظيم، فظننت أنهم أمتي فقيل لي: هذا موسى وقومه ولكن انظر إلى الأفق، فنظرت فإذا سواد عظيم، فقيل لي: انظر إلى الأفق الآخر فإذا سواد عظيم، فقيل لي: هذه أمتك ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب»، ثم نهض فدخل منزله فخاض الناس في أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب فقال بعضهم: لعلهم الذين صحبوا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال بعضهم: لعلهم الذين ولدوا في الإسلام فلم يشرخوا بالله شيئاً وذكروا أشياء فخرج عليهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «ما الذي تخوضون فيه؟» فأخبروه فقال: «هم الذين لا يسترقون ولا

(١) رواه مسلم برقم [٢٨٤٠].

(٢) شرح النووي على مسلم (٩/١٩٤-١٩٥)، ط. دار الحديث.

يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون» فقام عكاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: «انت منهم» ثم قال رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم فقال: «سبقك بها عكاشة»<sup>(١)</sup>.

لا يسترقون أي: لا يطلبون من أحد أن يقرأ عليهم، ولا يكتوون أي: لا يطلبون من أحد أن يرقبهم، ولا يتطيرون أي: لا يتشاءمون بمرئي أو مسموع أو زمان أو مكان وذلك لقوة اعتمادهم على ربهم وكمال توكلهم عليه وعدم التفاتهم إلى سواه وعدم تعلق قلوبهم بغيره قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ: هذا من صفة الأولياء المعرضين عن الدنيا وأسبابها وعلاقتها، وهؤلاء هم خواص الأولياء<sup>(٢)</sup>، التوكل من الإيثار يزيد بزيادته وكلما عظم توكل العبد على ربه كلما عظمت مكانته ومنزلته عند الله في جنته.

#### ٤- سبيل السعة في الأرزاق:

قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً»<sup>(٣)</sup>، وحق التوكل بأن تعلموا يقيناً أن لا فاعل إلا الله، وأن لا معطي ولا مانع إلا هو ثم تسعون في الطلب بوجه جميل وتوكل، وليس معنى التوكل التبطل والتعطل بل لا بد من التوصل بنوع من السبب لأن الطير ترزق بالسعي والطلب ولهذا قال الإمام أحمد: ليس في الحديث ما يدل على ترك الكسب، بل فيه ما يدل على طلب الرزق، وإنما أراد لو توكلوا على الله في ذهابهم ومجيئهم وتصرفهم وعلموا

(١) رواه البخاري برقم [٥٧٥٢]، ومسلم برقم [٢١٦]، وعند مسلم لفظة «لا يرقون» قال عنها شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ هي وهم من الراوي وحكم عليها عدد من أهل الحديث بأنها لفظة شاذة قال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ لأن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يرقى ورقاه جبريل وعائشة وكذلك الصحابة كانوا يرقون «القول المفيد» ص [٦٨]، ط. دار ابن الجوزي.

(٢) «فتح الباري» لابن حجر (١٠/٢٢٢) ط. دار الريان.

(٣) رواه الترمذي برقم [٢٣٤٤]، وابن ماجه برقم [٤١٦٤]، وصححه الألباني في «الصحيححة» برقم

أن الخير بيده لم ينصرفوا إلا غانمين سالمين كالطير<sup>(١)</sup>، إن هذه الطيور رزقها يوم بيوم، وليس لديها مخازن أو أي أسباب أخرى لحفظ القوت كما هو الحال عند الناس من وجود ثلاثيات وأموال وأملاك وعقارات لكن قلوبهم مليئة بالقلق والخوف من فوات الرزق لأن النفوس الضعيفة التفتت إلى الأسباب ونسيت قدرة الله وعظمته وغناه، لذا فلنوقن أن من صدق في توكله وأخذ بالأسباب المتاحة رزقه الله من حيث لا يحتسب.

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: كان أخوان على عهد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكان أحدهما يأتي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والآخر يحترف فشكا المحترف أخاه للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «لعلك ترزق به»<sup>(٢)</sup>، هذان الأخوان كان أحدهما يأتي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لطلب العلم والمعرفة والآخر يحترف أي يكتسب أسباب المعيشة فكأنهما كانا يأكلان معاً [فشكا المحترف] أي: في عدم مساعدة أخيه إياه في حرفته وفي كسب الآخر لمعيشته فقال: «لعلك ترزق به» بصيغة المجهول أي: أرجو وأخاف أنك مرزوق ببركته<sup>(٣)</sup>.

ولله در الشافعي حين قال:

توكلت في رزقي على خالقي	وأيقنت أن الله لاشك رازقي
وما كان من رزقي فليس يفوتني	ولو كان في قاع البحار العوامق
سيأتي به الله العظيم بفضله	ولو لم يكن مني اللسان بناطق
ففي أي شيء تذهب النفس حسرة	وقد قسم الرحمن رزق الخلائق

#### ٥- التوكل سبب لحب الله لعبده:

التوكل من أجل العبادات التي يتعبد بها المؤمن لربه فإذا توكل المرء على الله وفقه الله وسدده ولهذا قال العبد الصالح والنبي الكريم شعيب صلوات الله وسلامه عليه:

(١) «تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي» (٦/٢١٥)، ط. دار الحديث.

(٢) رواه الترمذي برقم [٢٣٤٥]، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» برقم [١٩١٢].

(٣) «تحفة الأحوذى» (٥/٢١٦).

﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [هُود: ٨٨]. ومن توكل على ربه أحبه الله وكلما عظم التوكل وكان أصدق وأكثر كان حب الله للعبد أعظم وأكبر قال الله سُبْحَانَكَ وَتَعَالَى: ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [الزمر: ١٥٩]، الله يحب أهل التوكل ويجب منك أن تتوكل عليه في كل أمر فاصدق في توكلك على ربك تجد السداد والتوفيق وحب الله لك.

### ٦- التوكل من أخص أوصاف المؤمنين؛

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال: ٢]، فالمؤمنون حقاً هم الذين يعتمدون على ربهم ويتوكلون عليه في جلب مصالحهم ودفع ما يضرهم، وهم واثقون تمام الثقة بأن الله تعالى سيفعل ذلك، والتوكل هو الحامل للأعمال كلها فلا توجد ولا تكمل إلا به قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ أي: لا يرجون سواه ولا يقصدون إلا إياه ولا يلوذون إلا بجنابه ولا يطلبون الحوائج إلا منه، ولا يرغبون إلا إليه ويعلمون أنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وأنه المتصرف في الملك وحده لا شريك له ولا معقب لحكمه وهو سريع الحساب ولهذا قال سعيد بن جبير: التوكل على الله جماع الإيمان<sup>(١)</sup>. وقال تعالى: ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [المائدة: ١١].

### ٧- التوكل هو حال الأنبياء وصفتهم النبيلة الراسخة؛

الصفة الثابتة الراسخة للأنبياء والرسل توكلهم على الله في كل أمرٍ وهم القدوة والأسوة التي جعلها الله للناس لتكون هادياً لهم ودليلاً إلى ما يرضيه جَلَّ جَلَالُهُ، قال الله تعالى: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَلْتَدَهُ ﴾ [الأنعام: ٩٠]، وهذا شيخ الأنبياء نوح عَلَيْهِ السَّلَام يقول الله تعالى عنه ﴿ يَنْقُورُ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ

(١) «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (١١/٤) ط. التوفيقية.

تَوَكَّلْتُ فَأَجْمَعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾، أي: إن كان مقامي عندكم وتذكيري إياكم ما ينفعكم بآيات الله الأدلة الواضحة البينة قد شق عليكم وعظم لديكم وأردتم أن تنالوني بسوء أو تردوا الحق ﴿فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾ أي: اعتمدتُ على الله في دفع كل شرٍّ يراد بي وبما أدعو إليه فهذا جندي وعدتي، وأنتم فأنابوا بما قدرتم عليه من أنواع العُدُد والعدد ﴿فَأَجْمَعُوا أَمْرَكُمْ﴾ أي كلكم بحث لا يتخلف منكم أحد ولا تدخروا من مجهودكم شيئاً وأحضروا شركاءكم الذين كنتم تعبدونهم وتوالونهم من دون الله رب العالمين ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ أي: مشتبهاً خفياً بل ليكن ذلك ظاهراً علانية ﴿ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ﴾ أي: اقضوا عليّ بالعقوبة والسوء الذي في إمكانكم ﴿وَلَا تُنظِرُونِ﴾ أي: لا تمهلوني ساعة من نهار، فهذا برهان ساطع وآية عظيمة على صحة رسالته وصدق ما جاء به حيث كان وحده لا عشيرة تحميه ولا جنود تؤويه، وقد بادى قومه بتسفيه آرائهم وفساد دينهم وعيب آهتهم، وقد حملوا من بغضه وعداوته ما هو أعظم من الجبال الرواسي، وهم أهل القدرة والسطوة وهو يقول لهم: اجتمعوا أنتم وشركاؤكم ومن استطعتم وأبدوا كل ما تقدرتون عليه من الكيد فأوقعوا بي إن قدرتم على ذلك فلم يقدروا على شيء من ذلك فعلم أنه الصادق حقاً وهم الكاذبون فيما يدعون<sup>(١)</sup>.

وهذا نبي الله ورسوله هود عليه السلام ذلكم النبي الكريم الذي أرسله الله عز وجل إلى أمة عاتية متجبرة متكبرة زهت بقوتها واستكبرت بشدة أبدان أهلها كما قال الله تعالى عنهم: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥]. هؤلاء العتاة الغلاظ الشداد أرسل الله إليهم نبيه هوذا فدعاهم إلى الله وأقام عليهم الحججة، وكان من براهين صدقه توكله على ربه وعدم خوفه

(١) «تفسير السعدي» ص [٤١٤]، ط. دار ابن الجوزي.

من بطشهم وانظر إلى هذه الشجاعة الباهرة والتوكل الصادق على الله جَلَّالَهُ مِنْ هَذَا النَّبِيِّ الْكَرِيمِ عَلَيْهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: ﴿قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُ وَأَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِنْ دُونِهِ فَكَيْدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظَرُونَ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ [هُود: ٥٤-٥٦]، يَقُولُ لَهُمْ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْ جَمِيعِ الْأَنْدَادِ وَالْأَصْنَامِ ﴿فَكَيْدُونِي جَمِيعًا﴾ أَي: أَنْتُمْ وَأَهْلَتِكُمْ إِنْ كَانَتْ حَقًّا ﴿ثُمَّ لَا تُنظَرُونَ﴾ (١)، أَي: طَرْفَةَ عَيْنٍ وَقَوْلُهُ ﴿مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ أَي: تَحْتَ قَهْرِهِ وَسُلْطَانِهِ وَهُوَ الْحَاكِمُ الْعَادِلُ الَّذِي لَا يَجُورُ فِي حُكْمِهِ فَإِنَّهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، وَقَدْ تَضَمَّنَ هَذَا الْمَقَامُ حُجَّةً بِالْغَةِ وَدَلَالَةً قَاطِعَةً عَلَى صِدْقِ مَا جَاءَهُمْ بِهِ وَبَطْلَانِ مَا هُمُ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ الَّتِي لَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ، بَلْ هِيَ جَمَادٍ لَا تَسْمَعُ وَلَا تَبْصُرُ، وَلَا تَوَالِي وَلَا تَعَادِي؛ وَإِنَّمَا يَسْتَحِقُّ إِخْلَاصَ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَلَهُ التَّصَرُّفُ وَمَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا تَحْتَ مَلِكِهِ وَقَهْرِهِ وَسُلْطَانِهِ فَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَلَا رَبَّ سِوَاهُ (٢).

وهذا نبي الله شعيب يقول الله تعالى عنه: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هُود: ٨٨].

وهذا موسى الكليم الكريم عليه من ربه الصلوات والتسليم يقول لقومه: ﴿يَقَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ ءَامِنُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِقَوْمٍ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤-٨٥].

وحكى الله هذا التوكل عن أنبيائه ورسله فقال الله تعالى: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا

(١) أي: لا تؤخروني ولا تمهلوني.

(٢) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٢٣٠)، ط. التوفيقية.

يَاذِنِ اللَّهُ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا  
وَلَنْضُرِكَ عَلَى مَاءٍ أَدْبِمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١١-١٢﴾.

### ٨- التوكل على الله نصف الدين؛

قال الإمام ابن القيم عليه رحمة الله: التوكل نصف الدين والنصف الثاني «الإنابة»  
فإن الدين استعانة وإنابة، فالتوكل هو الاستعانة، والإنابة هي العبادة، بل هو محض  
العبودية وخالص التوحيد إذا قام به صاحبه حقيقة<sup>(١)</sup>، وتجد أن الله عزَّجَلَّ كثيرًا ما يقرن  
بين الاستعانة والعبادة في كتابه الكريم قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾  
[الْفَاتِحَةُ: ٥]، وقال تعالى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هُودًا: ١٢٣]، وقال تعالى عن شعيب  
عليه السلام: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هُودًا: ٨٨]، وقال الله تعالى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ  
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [الزُّمَرُ: ٩٠]، تأمل في هذه الآيات تجد أنها تحتوي على الأمرين  
الاستعانة وهي التوكل والعبادة، والعبادة لا تتم ولا تكون إلا بالاستعانة بالله جَلَّ جَلَّالُهُ  
والتوكل عليه في فعلها.

### ٩- التوكل وصية الله وأمره لعباده؛

لقد أمر الله عباده في كتابه الكريم بكل ما ينفعهم ويضمن لهم الحياة الكريمة والسعادة  
الدائمة في الدنيا والآخرة وما أمر الله به عباده المؤمنين أن يتوكلوا عليه عزَّجَلَّ في كل أمر،  
والآيات في هذا المعنى كثيرة ومنها قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ  
الْمُؤْمِنُونَ﴾ [الزُّمَرُ: ١٣]، وقال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾  
[الْمَائِدَةُ: ٢٣]

(١) «تهذيب مدارج السالكين» ص [٣٣٦]، ط. المكتبة القيمة.

وقال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى آمراً نبيه محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالتوكل والأمة تبع له في ذلك لأن الخطاب للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خطاب لأمة إلا ما خصه الدليل قال الله تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ ﴾ [الزَّوَارِقِ: ٥٨].

قال أبو قدامة الرملي: قرأ رجل هذه الآية: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ ﴾ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَيْرًا ﴿ [الزَّوَارِقِ: ٥٨]، فأقبل على سليمان الخواص فقال: يا أبا قدامة ما ينبغي لعبد بعد هذه الآية أن يلجأ إلى أحد بعد الله في أمره انظر كيف؟ قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾ فأعلمك أنه لا يموت وأن جميع خلقه يموتون ثم أمرك بعبادته فقال ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ ﴾ ثم أخبرك أنه ﴿ خَيْرٌ بَصِيرٌ ﴾ ثم قال: والله يا أبا قدامة لو عامل عبدُ الله بحسن التوكل وصدق النية له بطاعته لاحتاجت إليه الأمراء فمن دونهم؛ فكيف يكون هذا محتاجاً وملجؤه إلى الغني الحميد<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴾ (٢١٧) الَّذِي يَرِنُّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿ (٢١٨) وَتَقَلُّبِكَ فِي السُّجُودِ ﴿ (٢١٩) إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿ [الشُّعَرَاءُ: ٢١٧-٢٢٠]، أي: ثق به وفوض أمرك إليه فهو عزيز في نعمته رحيم لم يعجل بالعقوبة<sup>(٢)</sup>.

إن أعظم مساعد للعبد على القيام بما أمر به الاعتماد على ربه والاستعانة بمولاه على توفيقه للقيام بالمأمور فلذلك أمر الله تعالى بالتوكل عليه فقال: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴾ فإنه عزيز رحيم، بعزته يقدر على إيصال الخير ودفع الشر عن عبده وبرحمته يفعل ذلك<sup>(٣)</sup>.

(١) «التوكل على الله» لابن أبي الدنيا ص [٧٠]، و«الإحياء» للغزالي (٤/٣٥٦).

(٢) «زاد المسير في علم التفسير» لابن الجوزي (٦/١٤٨)، ط. المكتب الإسلامي.

(٣) «تفسير السعدي» باختصار يسير ص [٧٠١]، ط. دار ابن الجوزي.

وقال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴾ [الْمَيْدَانِ: ٧٩]، وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [هُود: ١٢٣]، وفي هذه الآية الأخيرة يخبر الله تعالى أنه عالم غيب السماوات والأرض وأنه إليه المرجع والمآب، وسيؤتي كل عامل عمله يوم الحساب، فله الخلق والأمر فأمر تعالى بعبادته والتوكل عليه فإنه كافٍ من توكل عليه وأناب إليه<sup>(١)</sup>.

### قدوات كريمت

هذه مشاهد من القدوة تتلأ بأبواب التوكل وتفوح بعبير الإيثار وتبعث في النفس الاقتداء والاهتداء بأهل الفضل والسبق الذين اصطفاهم الله لهذه المواقف واصطفاهم لهم فعرفوا بها وعرفت بهم وصاروا للناس مثلاً يحتذى وقدوة يقتدى بها ويسير الصالحون في ظلها مستهدين بنورها ومستدلين بآثارها، ولأن النفوس طبعت على التأسى فإنه ينبغي أن تكون أمامها القدوات الصادقة لتكون دليلاً لها على درب الإيثار والتقوى.

### إمام المتوكلين وقدوة العالمين:

هذا هو نبينا ورسولنا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضرب للناس أروع مثل وأصدق قدوة في التوكل على الله جَلَّ جَلَالُهُ وكان من أسمائه التي دلت على هذا الوصف الكريم فيه صلوات الله وسلامه عليه اسم المتوكل والذي ذكره في التوراة التي أنزلها الله على موسى والحديث في ذلك رواه البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: إن هذه الآية التي في القرآن: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ [الْحَجَرَات: ٤٥]، قال في التوراة: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرراً للأميين<sup>(٢)</sup>، أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق، ولا يدفع

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٤/٢٥٣).

(٢) أي: عصمة للعرب.

السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله، فيفتح به أعينا عمياً، وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً<sup>(١)</sup>.

والمتوكل هو اسم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصفته وحاله الذي كان عليه طيلة حياته وكان من دعائه صلوات الله وسلامه عليه ما ينطق بهذا المعنى الكريم والوصف العظيم لرسول الله محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا غزا قال: «اللهم أنت عضدي ونصيري بك أحول، وبك أجول، وبك أصول، وبك أقاتل»<sup>(٢)</sup>.

وفي صحيح مسلم عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ إِنْ رَسُوْلَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُوْلُ: «اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، اللهم أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلني، أنت الحي الذي لا يموت والجن والإنس يموتون»<sup>(٣)</sup>.

وها هو نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعلم ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ويعلم الأمة كلها ألا يكون توكلهم إلا على ربهم وخالقهم جَلَّ جَلَالُهُ فيقول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف»<sup>(٤)</sup>.

إنه لا يجوز لمؤمن أبداً أن يلتفت بسؤاله وطلبه إلى غير الله أو أن يستعين بغير ربه وخالقه ومولاه، فلا يملك النفع والضر إلا الله وهو الذي بيده ملكوت كل شيء ومقاليد

(١) رواه البخاري برقم [٤٨٣٨].

(٢) رواه أبو داود برقم [٢٦٣٢]، والترمذي برقم [٣٥٨٤]، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» برقم [٢٣٦٦].

(٣) رواه مسلم برقم [٢٧١٧].

(٤) رواه الترمذي برقم [٢٥١٦]، وأحمد (١/٣٠٧)، وصححه الألباني في «المشكاة» برقم (٥٣٠٢).

كل شيء، ولا يغيب عن سمعه وبصره شيء وذلك؛ لأنه رب كل شيء ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

ثم تأمل واعتبر وتعلم -أيها الحبيب- من هذا المشهد الكريم العظيم وذلك حينما خرج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من مكة مهاجرًا إذ بقريش تعلم النبا فيجن جنونها ويشتد غضبها، ويرصد ساداتها مكافأة مالية كبيرة لمن جاء برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو دهم عليه وينطلق الباحثون في دروب الصحراء بحثًا عن هذا الركب الكريم حتى يصل جمعٌ منهم إلى باب الغار الذي كمن فيه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصديق وفزع الصديق لما رأى القوم قريبين جدًا منهم، بل لو نظر أحدهم إلى موضع قدميه لرآهما، ولكن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان هادئ القلب، مطمئن الفؤاد وقال لصاحبه: لا تحزن إن الله معنا، قال الله تعالى: ﴿إِلَّا نَضْرِبُ فَعْدَ نَصْرِهِ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا إِنَّنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠]، وفي الصحيحين من حديث أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: نظرت إلى أقدام المشركين ونحن في الغار وهم على رؤوسنا فقلت: يا رسول الله، لو أن أحدهم نظر إلى تحت قدميه لأبصرنا فقال: «ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما»<sup>(١)</sup>، إنه التوكل على الله في صورته الرائعة الكريمة الصادقة التي ينبغي أن تكون أسوة لنا في حياتنا كلها، ثم خذ هذا المثال الذي يروي القلب بالإيمان كسابقه، إن رجلاً أعرابياً كافراً وجد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد نام في ظل شجرة وعلق سيفه بها وقد تفرق الناس يستظلون بالشجر، فأخذ الأعرابي السيف بيده وقال: يا محمد من يمنعك مني؟ فقال له رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بكل طمأنينة وثبات: «الله» فسقط السيف من يد الرجل وكان ما

(١) رواه البخاري برقم [٣٦٥٣]، ومسلم برقم [٢٣٨١].

أذكره في هذا الحديث التالي: عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه غزا مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ نَجْدِ فَلَمَّا قَفَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَفَلَ مَعَهُمْ فَأَدْرَكَتْهُمُ الْقَائِلَةُ فِي وَادٍ كَثِيرِ الْعِضَاهِ فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَفَرَّقَ النَّاسُ يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ، وَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحْتَ سَمْرَةٍ فَعَلَقَ بِهَا سَيْفَهُ وَنَمِنَا نَوْمَةً فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُونَا وَإِذَا عِنْدَهُ أَعْرَابِي فَقَالَ: «إِنْ هَذَا اخْتَرَطَ عَلَيَّ سَيْفِي وَأَنَا نَائِمٌ فَاسْتَيْقِظْتُ وَهُوَ فِي يَدِي صَلْتًا قَالَ: مَنْ يَمْنَعُ مِنِّي؟ قُلْتُ: اللَّهُ -ثَلَاثًا- وَلَمْ يَعْاقِبْهُ وَجَلَسَ (١)» .

وفي رواية أبي بكر الإسماعيلي قال: من يمنعك مني؟ قال: «اللَّهُ» قال: «فسقط السيف من يده» فأخذ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السيف فقال: «من يمنعك مني؟» فقال: كن خير آخذ فقال: «تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟» قال: لا ولكنني أعاهدك أن لا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك فحلى سبيله فأتى أصحابه فقال: جئتم من عند خير الناس.

لقد ضرب الحبيب المصطفى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أروع مثل في صدق التوكل على الله، تأمل كيف كان وحده في كفة، والعالم كله في كفة أخرى، تأمل كيف واجه صناديد الكفر داخل مكة وخارجها، وكيف استطاع أن يقيم للإسلام دولة من فتات متناثر وكيف جمع القلوب حوله، وكيف نهض بهم وسار إلى البلاد يفتحها وينشر فيها الحق والنور والهدى، وكيف حول القلوب الصلدة الجامدة الجافية إلى ينابيع هداية لقد كانت حياة المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلها توكلًا على ربه وثقة به واستعانة به جَلَّ جَلَالُهُ وَلَنَا فِيهِ خَيْرٌ أَسْوَأَ وَأَعْظَمَ قُدُوةً صَلَوَاتِ اللَّهِ وَسَلَامِهِ عَلَيْهِ.

### توكل الخليل:

وهذا خليل الرحمن إبراهيم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يفوض أمره إلى الله ويصدق في توكله على مولاه ولا يلتفت بقلبه إلى غير ربه الذي خلقه وسواه، ويستعين به وحده ويلجأ إليه وحده قائلًا «حسبي الله ونعم الوكيل» وذلك حين تجتمع عليه جموع الكفر المتغيظة

(١) رواه البخاري برقم [٢٩١٠]، ومسلم برقم [٨٤٣].

لتلقي به في النار تخلصاً من دعوته وطمساً للتعاليم العظيمة التي جاء بها للناس من توحيد الله وعبادته لئن تخلى كل أهل الأرض جميعاً عن عبد الله ورسوله فهناك ربه يحفظه ويرعاه ويسر له أسباب النجاة ويرد كيد الكافرين ويذهب مكرهم سُدى وكفى بحفظ الله حفظاً، وكفى بالله هادياً وناصرًا ووكيلاً، في صحيح البخاري عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم حين ألقى في النار، وقالها محمد حين قالوا إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل<sup>(١)</sup>، وفي رواية أنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان آخر قول إبراهيم حين ألقى في النار «حسبي الله ونعم الوكيل» فلما قالها كان الحفظ وكانت الكلاءة والرعاية والعناية، ووقعت المعجزة الباهرة وجعل الله النار المحرقة الملتهبة برداً وسلاماً على رسوله وخليله إبراهيم عليه السلام، كما قال الله تعالى: ﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ٦٨-٧٠].

### أستاذة التوكل الأولى؛

ومن بيت الطهر والإيمان، ومن بيت اليقين والتقوى والتوكل من بيت الخليل يأتينا هذا المشهد الذي يدهش العقول ويبهز الألباب، إنه موقف عظيم ينطق بالإيمان الصادق، ويظهر فيه التوكل على الله في صورة نادرة، لا تكاد تراها في الدنيا إلا في مثل هذا البيت الكريم بيت الخليل إبراهيم، وأرجو أن تتأمل المشهد جيداً لتصل عظمته وبركته إلى القلب، فيزداد به إيماناً ولتكون لنا به أسوة وقدوة روى البخاري عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: جاء إبراهيم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأُم إِسْمَاعِيلَ وبابنها إِسْمَاعِيلَ وهي ترضعه حتى وضعها عند البيت عند دوحه فوق زمزم في أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذٍ أحدٌ وليس بها ماء، فوضعها هناك ووضع عندهما جراباً فيه تمر وسقاء فيه ماء، ثم قفى إبراهيم منطلقاً فتبعته أم إِسْمَاعِيلَ فقالت: يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه أنس

(١) رواه البخاري برقم [٤٥٦٣].

ولا شيء؟ فقالت له ذلك مرارًا وجعل لا يلتفت إليها، قالت: الله أمرك بهذا؟ قال: نعم قالت: إذاً لن يضيعنا ثم رجعت<sup>(١)</sup>، والحديث بطوله في صحيح البخاري وفيه خبر تفجر عين زمزم، والشاهد في الحديث قولها: الله أمرك بهذا؟ إذاً لن يضيعنا مادام الله هو الذي أمرك وما دمنا بهذا نستسلم لأمره فلن يضيع الله أبداً من أطاعه واتقاه، ومهما كانت المخاوف ومهما كانت وحشة المكان فإن الله ينزل على قلب العبد سكينه وبرد يقين يثبت به، إنك حين تتأمل في هذا المشهد ترى امرأة مؤمنة موقنة تترك وحدها في صحراء مقفرة موحشة ليس فيها إنس ولا أنس، وليس بها شيء من مقومات الحياة وأسبابها وما معها إلا جراب فيه تمر وسقاء فيه ماء، ترى لو نفذ هذا الماء وهذا التمر ماذا تصنع؟! رأيت لو خرج عليهم سبع أو وحش كاسر أو قاطع طريق مجرم كيف تصنع؟! وماذا يمكنها أن تفعل رأيت لو مرض طفلها ونزلت به الآلام ما الذي يمكنها أن تصنعه؟! كل هذه الهواجس قد تقفز إلى القلب لتثبطه وتحذله عن الاستسلام لحكم الله، أما من كان قلبه عامراً بالإيمان؛ فلن يجد إلا الإذعان والتسليم لأمر الله طاعة له وثقة فإنه لا يضيع عباده ولا يغفل عن نصرتهم وحفظهم أبداً والله في خلقه حكم تعجز عن إدراكها الأفهام، ومن المحن تأتي المنح، وبعد الشدة والبلاء تكون الكرامة من الله لعبده، وقد بقي ذكر هاجر خالدًا وبقي موقفها العظيم مؤثراً في الأجيال وفجّر الله لرضيعها عين زمزم المباركة التي جعلها الله طعام طعم، وشفاء سقم ويشرب منها ملايين الحجاج والمعتمرين على مر الزمان، وصارت مكة التي شهدت أرضها ذلك الحدث صارت أشرف بقعة على وجه الأرض، تهوي إليها أفئدة المؤمنين وتشتاق إلى البيت الذي فيها قلوب الصالحين.

### توكل الصحابة:

قال الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا

حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّهُمْ سُوءٌ وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ، فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِن كُنُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾

[القرآن: ١٧٢-١٧٥]

يذكر الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآيات ما يلي باختصار: هذا كان يوم حمراء الأسد وذلك أن المشركين لما أصابوا ما أصابوا من المسلمين كروا راجعين إلى بلادهم فلما استمروا في سيرهم تندموا لم لا تتموا على أهل المدينة وجعلوها الفيصلة، فلما بلغ ذلك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ندب المسلمين إلى الذهاب وراءهم ليرعبهم ويرهبهم أن بهم قوة وجلداً ولم يأذن لأحد سوى من حضر الواقعة يوم أحد فانتدب المسلمون على ما بهم من الجراح والإثخان طاعة لله عَزَّجَلَّ ولرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا﴾ الآية أي: الذين توعدهم الناس بالجموع وخوفوهم بكثرة الأعداء فما اكثر ثوا لذلك بل توكلوا على الله واستعانوا به ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾، ﴿فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّهُمْ سُوءٌ﴾ أي: لما توكلوا على الله كفاهم ما أهمهم ورد عنهم بأس من أراد كيدهم فرجعوا إلى بلادهم ﴿بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّهُمْ سُوءٌ﴾ مما أضمر لهم عدوهم ﴿وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ (١).

وهذا أبو سليمان خالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يصدق في توكله على ربه لدرجة أن يشرب السم ثقة في الله وتوكلاً عليه فلم يضره السم كما عند أحمد في المسند بسند صحيح عن قيس قال: أتى خالد بسم فقال: ما هذا؟ قال: سمٌّ فشربه.

(١) «تفسير القرآن العظيم» للحافظ ابن كثير باختصار (١/٤٣٩-٤٤٠) ط. دار المعرفة.

وفي لفظ مرسل عن أبي السفر قال: نزل خالد بن الوليد الخيرة على أم المرازبة فقالوا له: احذر السم لا يسقيكه الأعاجم فقال: اتنوني به فأتي منه بشيء فأخذه بيده ثم اقتحمه وقال: بسم الله فلم يضره شيئاً<sup>(١)</sup>.

قال الإمام الذهبي تعليقاً على الأثر الأول قلت: هذه والله الكرامة وهذه والله الشجاعة<sup>(٢)</sup>.

وهذا عمران بن الحصين الخزاعي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يترك الكي توكلًا على الله فتسلم عليه الملائكة وهو على فراش مرضه، فلما اكتوى تركت الملائكة السلام عليه ولما ترك الكي عادت الملائكة تسلم عليه وكان هذا آخر أمره وتلك والله هي الكرامة، روى مسلم عن مطرف بن عبد الله قال: قال لي عمران بن الحصين أحدثك حديثاً عسى الله أن ينفعك به إن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جمع بين حجة وعمره، ثم لم يمه عنه حتى مات، ولم ينزل فيه قرآن يحميه، وقد كان يُسَلِّمُ عليَّ حتى اكتويت فتركتُ ثم تركت الكي فعاد، وفي لفظ آخر عن مطرف قال: بعث إليَّ عمران بن حصين في مرضه الذي توفي فيه فقال: إني كنت أحدثك بأحاديث لعل الله أن ينفعك بها بعدي فإن عشت فاكنم عني وإن مت فحدث بها إن شئت، إنه قد سُلمَ عليَّ واعلم أن نبي الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد جمع بين حج وعمره، ثم لم ينزل فيها كتاب الله ولم يمه عنها نبي الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال رجل فيها برأيه ما شاء<sup>(٣)</sup>.

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ: ومعنى الحديث أن عمران بن الحصين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كانت به بواسير فكان يصبر على المهات، وكانت الملائكة تسلم عليه، فاكتوى فانقطع سلامهم عليه ثم ترك الكي فعاد سلامهم عليه، وأما قوله «فإن عشت فاكنم عني» أراد به الإخبار

(١) «الصحيح المسند في فضائل الصحابة» ص [٤٢٠] وقد صحح الشيخ مصطفى اللفظ الأول وحكم على الثاني بأنه منقطع الإسناد.

(٢) «السير للذهبي» (٣/٢٢٤)، ط. التوفيقية.

(٣) كلا اللفظين رواهما مسلم برقم [١٢٢٦]، وانظر «صحيح البخاري» حديث رقم [٤٥١٨].

بالسلام عليه؛ لأنه كره أن يشاع ذلك عنه في حياته لما فيه من التعرض للفتنة بخلاف ما بعد الموت<sup>(١)</sup>.

وقال ابن سيرين: سقى بطن عمران بن حصين ثلاثين سنة كل ذلك يعرض عليه الكي فيأبى حتى كان قبل موته بستين فاكثوى وعن مطرف قال: قلت لعمران: ما يمنعني من عيادتك إلا ما أرى من حالك قال: فلا تفعل؛ فإن أحبه إليّ أحبه إلى الله<sup>(٢)</sup>.

### توكل يأتي بمعجزة:

هذا عبد من عباد الله أقيم مثلاً وقدوة في صدق التوكل واللجوء إلى الله جَلَّ جَلَالُهُ، ويحدث الله معجزة يراها الناس ويدعون لها ويبرأ بها المؤمن التقي من تهمة ألصقت به حيث ينطق الله الرضيع؛ ليشهد بالحق ليكون ذلك آية ودلالة على أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لا يضيع من توكل عليه وتضرع بين يديه والحديث في ذلك رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كان جريج رجلاً عابداً، فاتخذ صومعة فكان فيها فأتته أمه وهو يصلي فقالت: يا جريج! فقال: يارب أمي وصلاتي فأقبل على صلاته، فانصرفت فلما كان من الغد أتته وهو يصلي فقالت: يا جريج! فقال: يارب أمي وصلاتي، فأقبل على صلاته فانصرفت فلما كان من الغد أتته وهو يصلي فقالت: يا جريج! فقال: أي رب أمي وصلاتي، فأقبل على صلاته فقالت: اللهم لا تمته حتى ينظر إلى وجوه المومسات فتذاكر بنو إسرائيل جريجاً وعبادته، وكانت امرأة بغي يتمثل بحسنها فقال: إن شئتم لأفتننه لكم، قال: فتعرضت له فلم يلتفت إليها، فأتت راعياً كان يأوي إلى صومعته فأمكنته من نفسها، فوقع عليها فحملت فلما ولدت قالت: هو من جريج فأتوه فاستنزلوه وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه فقال: ما شأنكم؟ قالوا: زبيت بهذه البغي فولدت منك فقال: أين الصبي؟ فجاءوا به فقال: دعوني حتى أصلي، فصلى فلما انصرف أتى الصبي فطعن في بطنه وقال: يا غلام

(١) «شرح النووي» على مسلم باختصار (٤/٤٦٦)، ط. دار الحديث.

(٢) «السير للذهبي» (٤/١١٥)، ط. التوفيقية.

من أبوك؟ قال: فلان الراعي، قال: فأقبلوا على جريح يقبلونه ويتمسحون به وقالوا: نبني لك صومعتك من ذهب قال: لا أعيدوها من طين كما كانت، ففعلوا<sup>(١)</sup>، وفي هذا الحديث دلالة ظاهرة على أن الله تعالى يفرج الشدائد عن المؤمنين لاسيما إذا صدقوا في توكلهم عليه ودعائهم إياه سبحانه وبحمده، هذا وقد خطر لي وأنا اكتب هذا الحديث أن أستخرج منه الفوائد النافعة ولكن وجدت ذلك سيطول جدًا وذلك لغزارة ما فيه من فوائد ومن ناحية أخرى ليست الفوائد هي المقصودة في هذا الصدد وإنما ذكرته شاهدًا على صدق الاعتماد والتوكل على الله تعالى.

### صور من توكل السلف

هذا هو الإمام عفان بن مسلم عليه رحمة الله يقول: دعاني إسحاق بن إبراهيم، فلما دخلت عليه قرأ الكتاب الذي كتبه المأمون من أرض الجزيرة إلى الرقة فإذا فيه: امتحن عفان وادعه إلى أن يقول القرآن كذا وكذا «أي مخلوق» فإن قال ذلك فأقره على أمره وإن لم يجيبك فاقطع عنه الذي يجري عليه، وكان المأمون يجري عليه في كل شهر خمسمائة درهم قال عفان: فلما قرأ عليّ الكتاب قال لي: ما تقول؟ فقرأت عليه ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ إلى آخرها وقلت: أمخلوق هذا؟! فقال لي إسحاق: إن أمير المؤمنين أمر إن لم تجبه يقطع عنك ما يجري عليك وإن قطع عنك أمير المؤمنين قطعنا نحن عنك أيضًا فقلت له: قال الله تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذَّارِيَاتُ: ٢٢]، فسكت عني إسحاق وانصرف يقول: فلما رجع إلى داره عدله أهل بيته وكانوا أربعين نفسًا، وبعد قليل دق عليه الباب إنسان فدخل ومعه كيس فيه ألف درهم فقال: يا أبا عثمان ثبتك الله كما ثبت الدين، وهذا لك في كل شهر<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه البخاري برقم [٣٤٣٦]، ومسلم برقم [٢٥٥٠].

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٠/٢٤٢)، «الجواهر المحصل في مناقب الإمام أحمد بن حنبل» ص [١١٤]، ط.

قال أبو وائل شقيق بن سلمة: خرجنا في ليلة مخوفة فمررنا بأجمة<sup>(١)</sup> فيها رجل نائم، وقيد فرسه فهي ترعى عند رأسه فأيقظناه فقلنا له: تنام في مثل هذا المكان؟ قال فرفع رأسه فقال: إني أستحيي من ذي العرش أن يعلم أني أخاف شيئاً دونه<sup>(٢)</sup>.

قال إبراهيم بن أدهم رَحِمَهُ اللهُ: كنت ضيفاً عند قوم فقدموا مائدة فنزل غراب واختطف رغيماً وطار به، قال: فتعجبت من حاله وتبعته، فإذا برجل مقيد مأسور قد شدت يده، فألقى الغراب الرغيف عند وجهه وجعل يأكل منه<sup>(٣)</sup>.

وقال علي بن بكار شكا رجل إلى إبراهيم بن أدهم كثرة عياله فقال له إبراهيم: يا أخي، انظر كل من كان في منزلك ليس رزقه على الله فحواله إلى منزلي.

قيل لحاتم الأصم: علام بنيت أمرك في التوكل؟ قال: على خصال أربعة: علمت أن رزقي لا يأكله غيري فاطمأنت نفسي، وعلمت أن عملي لا يعمله غيري فأنا به مشغول، وعلمت أن الموت يأتي بغتة فأنا أبادره، وعلمت أني لا أخلو من عين الله فأنا مستح منه<sup>(٤)</sup>.

قال مالك: استعمل زيد بن أسلم على معدن بني سليم وكان معذراً لا يزال يصاب فيه الناس من قبل الجن فلما وليهم شكوا ذلك إليه فأمرهم بالأذان أن يؤذنوا ويرفعوا أصواتهم ففعلوا فارتفع ذلك عنهم حتى اليوم قال مالك: أعجبنى ذلك مشورة زيد بن أسلم<sup>(٥)</sup>.

(١) الأجمة الشجر الكثير الملتف.

(٢) «الزهد» لهناد (٣٠٦/١) وقال محققه: سنده صحيح.

(٣) «جنة الرضا» للغرناطي (١/٢٤٥).

(٤) «سير أعلام النبلاء» (١١/٤٨٥)، ط. الرسالة.

(٥) المصدر السابق (٥/٣١٧).

قال أبو العباس السراج: عن الكديمي قال: لما دخل أبو نعيم على الوالي ليمتحنه وثم يونس وأبو غسان وغيرهما فأول من امتحن فلان فأجاب، ثم عطف على أبي نعيم فقال: قد أجاب هذا، فما تقول؟ قال: والله ما زلت أتهم جده بالزندقة ولقد أخبرني يونس بن بكير أنه سمع جده يقول: لا بأس أن يرمى الجمرة بالقوارير، أدركت الكوفة وبها أكثر من سبعمائة شيخ الأعمش فمن دونه يقولون القرآن كلام الله فقبل رأسه - وكان بينهما شحناء - وقال: جزاك الله من شيخ خيراً<sup>(١)</sup>.

وقد حدثني بعض الإخوة حالفاً بالله على صدق ما يقول قال: إنه كان في سفر إلى العمرة وقد تحلف من أجل أن يعمل هنالك ليحصل مالا يستعين به على نفقات زواجه قال: وبينما نحن نعمل في مكانٍ إذ داهمتنا شرطة الجوازات، ومن المعلوم أنها تقوم بترحيل أمثالي إلى بلده فوراً يقول فأسرعت واختبأت في مكان وجعلت أدعو الله بإلحاح أن ينجيني وأن يعمي أبصارهم عني قال فجاءوا وجعلوا يفتشون ويبحثون ووصل إلى واحد منهم ونظر فعلاً إلى ووالله وقعت عيني في عينه وجعلت أقرأ ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [يَس: ٩]. قال وتأكدت أنه رأني وانتظرت أن يمسك بي ولكن سبحان الله وجدته قد التفت وقال لزملائه: ليس ثمة أحد هنا ثم انصرف.

### التوكل في واقع الحياة

إن التوكل عبادة لازمة واجبة على العبد في كل مشهد من مشاهد حياته، فلا صلاح ولا نجاح له إلا بتوكله على الله؛ لأن التوكل مفتاح التوفيق، وسبيل السداد وداعية الحفظ والرعاية من الله لعبده، وليس التوكل في العبادة وأمور الدين فحسب، بل إنه يشمل كل عمل ديني أو دنيوي ومن هذه المقامات التي لا بد فيها من التوكل طلب الرزق قال الله

(١) المصدر السابق (١٠/١٤٩).

تعالى: ﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَنَّ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [التَّوْبَةُ: ٣٦]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعَبَّدُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ؛ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الْحَجَّاتُ: ١٧]. فالله هو الذي يملك الرزق وحده، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذَّارِيَاتُ: ٥٨].

**ومنها:** التوكل على الله في طلب النصر وحصول الفرج قال الله تعالى: ﴿إِنْ يَضُرُّكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذِلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [الْحَجَّاتُ: ١٦٠]. فمن نصره الله فهو المنصور، ومن خذله فهو المخذول وما استجلب نصر الله بمثل الاعتصام به والتوكل عليه، فالله جَلَّ جَلَالُهُ هو خير الناصرين، ومن عصمه الله فلن يستطيع الخلق أجمعون أن ينالوا منه شيئاً قال الله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الْحَجَّاتُ: ١٧٨].

**ومنها:** التوكل على الله في طلب الصلح والإصلاح بين الناس، وتلك عبادة وقربة يستجلب بها العبد الأجر العظيم من ربه قال الله تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النِّسَاءُ: ١١٤]. ونفوس الناس شديدة النفرة عند التنازع والاختلاف ولذا يحتاج المصلح بينهما إلى توفيق الله له وعونه وتسديده يحتاج أن يستعين بالله وأن يتوكل عليه في الإصلاح.

**ومنها:** التوكل على الله في مقام الدعوة، وأحق وأوجب ما يطلب فيه التوكل دعوة الناس إلى الله ودالتهم عليه وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وذلك هو حال الأنبياء جميعاً كما سبقت الإشارة إليه، والداعية إلى الله هو وريث الأنبياء يجد ما وجدوه من تكذيب وإعراض وسخرية واستهزاء، يجد من الناس صدوداً وانصرافاً وعزوفاً بل يجد من يجابهه ويحاربه في دعوته، وحينئذٍ فليس أمامه إلى تفويض أمره إلى الله وتوكله

عليه سبحانه قال الله لرسوله محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فُكُلٌ حَسْبِيَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التَّوْبَةُ: ١٢٩]. فليتوكل الداعية على ربه في إعداد ما يواجهه به الناس وفي الصبر على أذاهم، وفي تعليمهم ونصحهم.

**ومنها:** التوكل على الله تعالى في مقام الطاعة والعبادة، ولن توفق للاستقامة على الطاعة والثبات عليها إلا بالتوكل، ولن تستطيع أن تتم عبادة وتستمر عليها إلا إذا أعانك الله ووفقك قال ربنا جل وعلا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الْفَاتِحَةُ: ٥]. فالعبادة هي الغاية التي خلق الناس من أجلها والاستعانة وسيلة إليها والعبادة - كما يقول ابن القيم - محفوفة بإعانتين: إعانة قبلها على التزامها والقيام بها، وإعانة بعدها على عبودية أخرى، وهكذا أبداً حتى يقضي العبد نحبته، ثم يقول رَحِمَهُ اللهُ: الناس في هذين الأصلين - وهما العبادة والاستعانة - أربعة أقسام أجلها وأفضلها: أهل العبادة والاستعانة بالله عليها، فعبادة الله غاية مرادهم وطلبهم منه أن يعينهم عليها ويوفقهم للقيام بها، ولهذا كان من أفضل ما يسأل الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَى الإعانة على مرضاته، وهو الذي علمه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمعاذ بن جبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فقال: «يا معاذ، والله إنني لأحبك فلا تنسى أن تقول دبر كل صلاة: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»<sup>(١)</sup>، فأنفع الدعاء طلب العون على مرضاته، وأفضل المواهب إسعافه بهذا المطلوب وجميع الأدعية الماثورة مرادها على هذا وعلى دفع ما يضاذه وعلى تكميله وتيسير أسبابه فتأملها.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه: تأملت أنفع الدعاء فإذا هو سؤال العون على مرضاته ثم رأيت في الفاتحة في ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الْفَاتِحَةُ: ٥]<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه أبو داود برقم [١٥٢٤]، والنسائي برقم [١٣٠٣]، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» برقم [١٥٩٦].

(٢) رواه أبو داود برقم [١٥٢٤]، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» برقم [١٥٩٦].

**ومن مقامات التوكل** التي يلزم كل مسلم أن يأخذ به فيها: التوكل على الله في دفع كيد الشيطان والتخلص من رق الذنوب والمعاصي، فكم من أسير أسرته الخطايا وأغرقتة الموبقات، وسقط في شرك الشيطان وشره، وزين له إبليس سوء عمله، ولن يستطيع أن يتخلص من هذا الرق الجاثم على صدره وهذا الكيد المحيط به إلا بصدق التوكل على الله والاستعانة به سبحانه ولذا قال ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَى عن الشيطان الرجيم: ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [التَحَاكُّمُ: ٩٩]. فهيا توكل على الله في التوبة إليه والإنابة إليه ودفع كيد الشيطان الذي لا يغفل قط عن المكر بك، ولا يبدأ قط عن إغوائك وإضلالك قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُفْرٌ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ [فَتَاظَرُ: ٦].

**ومنها:** التوكل على الله في الحكم والقضاء، فإن الإنسان إذا أراد أن يفصل في قضية وأن يحكم فيها بالحق والعدل لا بد أن يستعين بالله حتى يسدد ويوفق، وهذا السداد لا يستجلب ولا يكون إلا بالتوكل على الله في إصدار الأحكام؛ لأن المرء قد تعثره أمور تصده عن الحكم بالحق فيفضل ويقع في الظلم ويستحق الوعيد الشديد، ولذا فعليك بالتوكل تسلّم وتعصم قال الله تعالى: ﴿ وَمَا أَخْلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [الشُّورَى: ١٠].

**ومنها:** التوكل على الله في مجاهدة الأعداء وقتالهم قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٣١﴾ إِذْ هَمَّتْ طَلِيفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [الْعَبْرَةَ: ١٢١-١٢٢]. إنه مع وجوب الأخذ بالأسباب المتاحة كلها وإعداد العدة الكافية لمقاتلة الأعداء، فإنه لا بد من توكل القلوب على الله وثقتها في نصره وتأييده وأن الله معهم يمدهم بعونه، ويحفظهم بحفظه ويسدد

رميهم، ويخذل أعداءهم حتى وإن بدر صلح فلا بد من التوكل على الله في إبرام عقود هذا الصلح؛ قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ جَحَحُوا لِّلسَّلَامِ فَأَجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

[الأنفال: ٦١]

**ومنها:** التوكل على الله عزَّجَلَّ في إجراء العقود من بيع وشراء وإجارة وزواج وغير ذلك من المعاملات وشاهد ذلك ما وقع من كليم الله موسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حينما اتفق مع الرجل الصالح على أن يزوجه ابنته في مقابل أن يعمل عنده أجيرًا ثماني سنوات أو عشر إن أراد موسى أن يتمها عشرًا قال الله تعالى عن هذا الرجل الصالح: ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حَجِيجٌ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [القصص: ٢٧-٢٨].

وفي كل عمل ينبغي أن تتوكل فيه على الله، في حفظ القرآن، في تعلم العلم، في تربية الأولاد، في إصلاح الخلق والنفس، في تطهير القلب وتزكية النفس، في عمك الديوي ووظيفتك التي تقتات بسببها في كل ذلك وغيره لا بد أن تتوكل على ربك جَلَّ جَلَالُهُ يقول ابن القيم عليه رحمة الله: ولو توكل العبد على الله حق توكله في إزالة جبل من مكانه وكان مأمورًا بإزالته لأزاله (١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية عليه رحمة الله: الاستعانة بالله والتوكل عليه واللجأ إليه والدعاء له هي التي تقوي العبد وتيسر عليه الأمور، ولهذا قال بعض السلف: من سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله (٢).

(١) «مدارج السالكين» (١/ ٨١).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٨٩/ ٥) ط. العبيكان.

## أنواع التوكل

**التوكل على الله نوعان:** أحدهما توكل عليه في حوائج العبد وحظوظه الدنيوية أو دفع مكروهاته ومصائبه الدنيوية. ثانيها: التوكل عليه في حصول ما يحبه ويرضاه من الإيمان واليقين والجهاد والدعوة إليه.

وبين النوعين من الفضل ما لا يحصيه إلا الله فمتى توكل العبد عليه في النوع الثاني حق توكله كفاه النوع الأول تمام الكفاية، ومتى توكل عليه في النوع الأول دون الثاني كفاه أيضاً لكن لا يكون له عاقبة المتوكل عليه فيما يحبه ويرضاه فأعظم التوكل عليه التوكل في الهداية وتجريد التوحيد ومتابعة الرسول وجهاد أهل الباطل، فهذا توكل الرسل وخاصة أتباعهم.

والتوكل تارة يكون توكل اضطرار وإلجاء بحيث لا يجد العبد ملجأ ولا وِزراً إلا التوكل، كما إذا ضاقت عليه الأسباب وضاقت عليه نفسه وظن أن لا ملجأ من الله إلا إليه، وهذا لا يتخلف عنه الفرج واليسير ألبتة.

وتارة يكون توكل اختيار وذلك التوكل مع وجود السبب المفضي إلى المراد فإن كان السبب مأموراً به ذم على تركه، وإن قام بالسبب وترك التوكل ذم على تركه أيضاً، فإنه واجب باتفاق الأمة ونص القرآن والواجب القيام بهما والجمع بينهما، وإن كان السبب محرماً عليه مباشرة وتوحد السبب في حقه في التوكل، فلم يبق سبب سواه، فإن التوكل من أقوى الأسباب في حصول المراد ودفع المكروه، بل هو أقوى الأسباب على الإطلاق<sup>(١)</sup>.

(١) «الفوائد» لابن القيم ص [١٠٦].

## معنى لا حول ولا قوة إلا بالله

اعلم أولاً أن هذه الكلمة كنز من كنوز الجنة فينبغي أن يحرص المؤمن دومًا على قولها وقد ورد في الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَبَا مُوسَى أَوْ يَا عَبْدَ اللَّهِ، أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ قُلْتَ: بَلَى قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»<sup>(١)</sup>. وأما معنى هذه الكلمة العظيمة وهذا الذكر الكريم فقد قال الحافظ ابن حجر عليه رحمة الله: معنى لا حول ولا قوة لا تحويل للعبد عن معصية الله إلا بعصمة الله ولا قوة له على طاعة الله إلا بتوفيق الله، وقيل: معنى لا حول لا حيلة؛ وقال النووي: هي كلمة استسلام وتفويض وأن العبد لا يملك من أمره شيئًا، وليس له حيلة في دفع شر ولا قوة في جلب خير إلا بإرادة الله تعالى<sup>(٢)</sup>. وقال القاضي عياض: هذه كلمة استسلام وتفويض واعتراف بالعجز وأن العبد لا يملك مع الله شيئًا ولا يملك من دونه كما قال أهل اللغة معنى لا حول لا حيلة يقال: ما للرجل حيلة ولا حول ولا احتيال، وقيل: الحول الحركة أي لا حركة ولا استطاعة إلا بالله قال ابن مسعود: لا حول عن المعصية إلا بعصمة الله ولا قوة على الطاعة إلا بعون الله، ومعنى كنز من الجنة أي ثواب مدخر وثواب مخبأ ظاهره لقائلها، وقيل: بل لمن اتصف بذلك وتبرأ من حوله وقوته وفوض أمره إلى الله تعالى<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه البخاري برقم [٦٤٠٩]، ومسلم برقم [٢٧٠٤].

(٢) «فتح الباري» لابن حجر (٥٠٩/١١) ط. دار الريان.

(٣) «إكمال المعلم بفوائد مسلم» للقاضي عياض (٢٠٠/٨) ط. دار الوفاء.

## ما ينافي التوكل

### ١- عدم الأخذ بالأسباب:

لقد جعل الله لكل غاية سبباً يتوصل به إليها فمن أخذ به وتوكل على الله حصل ما يريد ومن عطل الأخذ بالأسباب وادعى بأنه متوكل فقد أساء فهم التوكل وخالف هدي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أراد حصول الرزق، فلا بد أن يسعى في تحصيله ومن أراد أن يسافر إلى مكان بعيد فلا بد أن يتزود لسفره روى البخاري عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن المتوكلون، فإذا قدموا مكة سألوا الناس فأنزل الله تعالى: ﴿ وَتَكَزُّوْهُا فَإِنَّكَ حَيْرَ الْزَّادِ الْفَقْوَى ﴾ [البقرة: ١٩٧] (١).

ولما جاء رجل إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله! أأعقلها وأتوكل أم أطلقها وأتوكل؟ قال: «أعقلها وتوكل» (٢). الأخذ بالأسباب واجب والظعن في الأسباب ظعن في الشرع، والأسباب لا تؤثر بذاتها فإن الاعتقاد في الأسباب شرك، فخذ بها متوكلاً على الله ولا تعلق قلبك بها بل علق قلبك بالله وحده.

### ٢- التشاؤم والطيرة:

والتطير هو التشاؤم بمرئي أو مسموع أو معلوم كمن يتشاءم من رقم معين أو طريق معين أو شخص معين أو ساعة معينة كمن يدعي أن في يوم الجمعة ساعة نحس وكمن يتشاءم بصوت الغراب أو البومة قال الحافظ ابن حجر عليه رحمة الله: وأصل التطير أنهم كانوا في الجاهلية يعتمدون على الطير فإذا خرج أحدهم لأمرٍ فإن رأي الطير طار يمينة تيمن به واستمر وإن رآه طار يسرة تشاءم به ورجع، وربما كان أحدهم يهيج الطير ليظير فيعتمدها فجاء الشرع بالنهي عن ذلك قال: وقد كان بعض عقلاء الجاهلية ينكر التطير ويتمدح بتركه قال شاعر منهم:

(١) رواه البخاري برقم [١٥٢٣].

(٢) رواه الترمذي برقم [٢٥١٧]، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» برقم [١٠٦٨].

ولقد غدوت وكننت لا  
أغدو على واقٍ وحاتم  
فإذا الأشائم كالآيا  
من والأيامن كالأشائم

وقال آخر:

الزجر والطير والكهان كلهم  
مضللون ودون الغيب أفضال<sup>(١)</sup>

قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل» قالوا: وما الفأل؟

قال: «الكلمة الطيبة»<sup>(٢)</sup>.

واعلم أن التطير ينافي التوحيد من وجهين الأول - أن المتطير قطع توكله على الله واعتمد على غير الله، والثاني - أنه تعلق بأمرٍ لا حقيقة له، بل هو وهم وتخيل فأبي رابطة بين هذا الأمر وبين ما يحصل له وهذا لا شك أنه يخل بالتوحيد؛ لأن التوحيد عبادة واستعانة والتطير لا يخلو من حالين؛ الأول - أن يحجم ويستجيب لهذه الطيرة ويدع العمل وهذا من أعظم التطير والتشاؤم. الثاني - أن يمضي لكن في قلق وهم وغم يخشى من تأثير هذا المتطير به وهذا أهون وكلا الأمرين نقص في التوحيد وضرر على العبيد، بل انطلق إلى ما تريد بانشرح صدر وتيسير واعتماد على الله عَزَّجَلَّ ولا تسيئ الظن بالله عَزَّجَلَّ<sup>(٣)</sup>.

وفي المسند من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «من رده الطيرة عن حاجته فقد أشرك» قالوا: فما كفارة ذلك؟ قال: «أن يقول اللهم لا خير إلا خيرك ولا طير إلا طيرك ولا إله غيرك»<sup>(٤)</sup>؛ تضمن الحديث أن الطيرة لا تضر من كرهها ومضى في طريقه، وأما من

(١) «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» لابن حجر (٢٢٣/١٠) ط. الريان.

(٢) رواه البخاري برقم [٥٧٥٥]، ومسلم برقم [٢٢٢٤].

(٣) «القول المفيد بشرح كتاب التوحيد» لابن عثيمين ص [٣٥٨] ط. دار ابن الجوزي.

(٤) رواه أحمد (٢/٢٢٠)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» رقم [٢٩٣] وصححه الألباني في «الصحيحة»

برقم [١٠٦٥].

لم يخلص توكله على الله واسترسل مع الشيطان في ذلك فقد يعاقب بالوقوع فيما يكره لأنه أعرض عن واجب الإيمان بالله وأن الخير كله بيده، فهو الذي يجلبه لعبده بمشيئته وإرادته، وهو الذي يدفع عنه الضر وحده بقدرته ولطفه وإحسانه، فلا خير إلا منه<sup>(١)</sup>.

ومن صور هذا التطير المنهي عنها أن العرب كانوا يتشاءمون إذا وقفت البومة على بيت أحدهم يقول: نعت إليّ نفسي أو أحداً من أهل داري ومن ذلك من يتشاءم بشهر صفر ويوم الأربعاء وشهر شوال. ومما يجب الحذر منه ما انتشر بين الناس في هذه الأيام كاعتقاد بعضهم إذا وجد روث طائر على ثيابه بأنه سيكسى، وإذا وجد إحدى نعليه ركبت الأخرى أنه سيسافر، وإذا وجد حركة في عينه قال إنه سيرى أحداً، وقد كان السلف ينكرون هذا التطير أشد الإنكار؛ فعن عكرمة قال: كنا جلوساً عند ابن عباس فمرَّ طائر يصيح فقال رجل من القوم: خير خير فقال ابن عباس: لا خير ولا شر، فبادره بالإنكار عليه لئلا يعتقد تأثيره في الخير والشر<sup>(٢)</sup>.

ولما جاء أحد المنجمين لعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وهو خارج لقتال البغاة قال: هنا الآن نوء العقرب إذا خرجت يا علي فسوف تحسر وتهزم فلم يبال علي وخرج ثقة بالله وتوكلاً عليه، فكتب الله له النصر والغلبة والخير والبركة.

### ٣- تعلق القلب بغير الله:

كمن يعتمد على شخص في رزقه ومعاشه ويثق به ثقة تامة ويعمل لكي يرضيه ويتجنب سخطه بكل سبيل ويتذلل له وينكسر أمامه ولسان حاله ومقاله: فلان هذا ولي نعمتي، الله لي في السماء وهذا لي في الأرض، وترى مثل هذا مخذولاً عن اللجأ إلى الله والتوكل عليه والثقة بما عنده وكل من تعلق بشيء غير الله وكل إليه وعذب به ولا بد.

(١) «فتح المجيد بشرح كتاب التوحيد» ص [٢٧٤] ط مؤسسة الريان.

(٢) البيهقي في «السنن» (١٣٦/٨)، وسنده صحيح كما في «صحيح فقه السنة» (١٥٩/٤).

والتعلق بغير الله على أقسام **الأول**- ما ينافي التوحيد من أصله وهو أن يتعلق بشيء لا يمكن أن يكون له تأثير، ويعتمد عليه اعتماداً معرضاً عن الله مثل تعلق عباد القبور بمن فيها عند حلول المصائب ولهذا إذا مستهم الضراء الشديدة يقولون: يا فلان أنقذنا فهذا لا شك أنه شرك أكبر مخرج من الملة.

**والثاني**- ما ينافي كمال التوحيد وهو أن يعتمد على سبب شرعي صحيح مع الغفلة عن المسبب وهو الله عَزَّجَلَّ وعدم صرف قلبه إليه. فهذا نوع من الشرك ولا نقول شرك أكبر؛ لأن هذا السبب جعله الله سبباً.

**والثالث**- أن يتعلق بالسبب تعليقاً مجرداً لكونه سبب فقط مع اعتماده الأصلي على الله فيعتقد أن هذا السبب من الله وأن الله لو شاء لأبطل أثره ولو شاء لأبقاه، وأنه لا أثر للسبب إلا بمشيئة الله عَزَّجَلَّ فهذا لا ينافي التوحيد لا كمالاً ولا أصلاً وعلى هذا لا إثم فيه <sup>(١)</sup>. فواجب على المسلم ألا يعلق قلبه بالأسباب بل يعلق قلبه بالله وحده سبحانه وبحمده <sup>(٢)</sup>.

#### ٤- الذهاب إلى العرافين والسحرة؛

إذا ابتلي عبد بمس أو سحر فالواجب عليه أن يصبر وأن يلتمس شفاءه فيما أحله الله عَزَّجَلَّ وأذن فيه أما أن يفزع إلى السحرة والدجالين يسألهم كشف الضر أو جلب نفع أو سؤال عن غيب فهذا مما ينافي الإيمان ويناقض الحق فلا يعلم الغيب إلا الله: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [البقرة: ٦٥]. وقال تعالى: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ ﴿٦٦﴾ إِلَّا مَنْ أَرَادَ مِنْ رَسُولٍ ﴿[البقرة: ٢٦-٢٧]﴾. قال ابن الجوزي: عالم الغيب هو الله عَزَّجَلَّ وحده لا شريك له في ملكه فلا يظهر أي: فلا يطلع على غيبه الذي لا

(١) «القول المفيد» ص [١١٩].

(٢) في النية إصدار كتاب بعنوان «الدرة المنتقة في تعلق القلب بالله».

يعلمه أحد من الناس ﴿إِلَّا مَنْ أَرْضَىٰ مِنْ رَسُولٍ﴾ لأن الدليل على صدق الرسل إخبارهم بالغيب، والمعنى إن ممن ارتضاه للرسالة أطلعه على ما شاء من الغيب ففي هذا دليل على أن من زعم أن النجوم تدل على الغيب فهو كافر والله أعلم<sup>(١)</sup>.

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد»<sup>(٢)</sup>.

وفي الصحيحين عن زيد بن خالد الجهني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: صلى بنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلاة الصبح في إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس بوجهه فقال: «هل تدرون ماذا قال ربكم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم قال: «قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب؛ وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب»<sup>(٣)</sup>.

وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من أتى عرافاً فصدقه بما يقول لم تقبل له صلاة أربعين يوماً»<sup>(٤)</sup>.

### ٥- تعليق التمام:

والتمام جمع تيممة وهي شيء يعلق على الإنسان ليتم به دفع العين عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إن الرقى والتمام والتولة شرك»<sup>(٥)</sup>، والرقى هنا هي الرقى الشركية قال السيوطي: أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع

(١) «زاد المسير في علم التفسير» (٨/ ٣٨٥).

(٢) رواه أحمد (٢/ ٤٢٩)، والحاكم (٨/ ١)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٥٦٣٩].

(٣) رواه البخاري برقم [٨٤٦]، ومسلم برقم [٧١].

(٤) رواه مسلم برقم [٢٢٣٠].

(٥) رواه أحمد (١/ ٣٨١)، وأبو داود برقم [٣٧٣٤]، وابن ماجه برقم [٣٥٣٠]، وصححه الألباني في

«الصحيححة» برقم [٣٣١].

ثلاثة شروط: أن تكون بكلام الله أو بأسمائه وصفاته، وباللسان العربي وما يعرف معناه، وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بتقدير الله تعالى<sup>(١)</sup>.

وفي المسند عن عقبة بن عامر أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «من تعلق تميمة فقد أشرك»<sup>(٢)</sup>، قال المنذري: خرزة كانوا يعلقونها يرون أنها تدفع عنهم الآفات وهذا جهل وضلالة؛ إذ لا مانع ولا دافع غير الله تعالى.

وقال أبو السعادات بن الأثير: التائم جمع تميمة وهي خرزات كانت العرب تعلقها على أولادهم يتقون بها العين في زعمهم فأبطلها الإسلام.

ومن هذه التائم التي ينهى عنها ما يعرف بالخمسة وخمسة، وصورة الكف لدفع الحسد أو تعليق نعل قديم أو خرزة زرقاء أو حذوة حصان ووضع الأحجية وما يشبه ذلك إذا أريد به دفع العين ومنع الحسد كل هذا ينهى عنه ولا يجوز تعليقه بحال وهو مما ينافي التوحيد والتوكل.

### التوكل على الله حق التوكل

قال ابن القيم: من ترك الاختيار والتدبير في رجاء زيادة أو خوف نقصان أو صحة أو فرار من سقم وعلم أن الله على كل شيء قدير وأنه المتفرد بالاختيار والتدبير، وأن تدبيره لعبده خير من تدبير العبد لنفسه، وأنه أعلم بمصلحته من العبد وأقدر على جلبها وتحصيلها منه وأنصح للعبد لنفسه وأرحم به منه بنفسه وأبر به منه بنفسه وعلم مع ذلك أنه لا يستطيع أن يتقدم بين يدي تدبيره خطوة واحدة ولا يتأخر عن تدبيره له خطوة واحدة، فلا متقدم له بين يدي قضائه وقدره ولا متأخر، فألقى نفسه بين يديه، وسلم الأمر كله إليه، وانطرح بين يديه انطراح عبد مملوك ضعيف بين يدي ملك عزيز قاهر

(١) نقلًا عن «فتح المجيد» (١/٢٤٩).

(٢) رواه أحمد (٤/١٥٦)، والحاكم (٤/٢١٩)، وصححه الألباني في «الصحيححة» برقم [٤٩٢].

له التصرف في عبده بما يشاء، وليس للعبد التصرف فيه بوجه من الوجوه، فاستراح حينئذٍ من الهموم والغموم والأنكاد والحسرات وحمل كل حوائجه ومصالحه من لا يبالي بحملها ولا يثقله ولا يكثر بها، فتولاها دونه وأراه لطفه وبره ورحمته وإحسانه فيها من غير تعب من العبد ولا نصب ولا اهتمام منه؛ لأنه صرف اهتمامه كله إليه، وجعله وحده همه فصرف عنه اهتمامه بحوائجه ومصالح دنياه وفرغ قلبه منها فما أطيب عيشه وما أنعم قلبه وما أعظم سروره وفرحه، ومن أبى إلا تديره لنفسه واختياره لها واهتمامه بحظه دون حق ربه؛ خلاه وما اختاره وولاه ما تولى، فحضره الهم والغم والحزن والتكد والخوف والتعب وكسف البال وسوء الحال، فلا قلب يصفو ولا عمل يزكو، ولا أمل يحصل ولا راحة يفوز بها، ولا لذة يتهنى بها، بل قد حيل بينه وبين مسرته وفرحه وقره عينه، فهو يكدح في الدنيا كدح الوحش ولا يظفر منها بأمل ولا يتزود منها للمعاد، والله سبحانه قد أمر عبده بأمر وضمن له ضمناً، فإن قام بأمره بالنصح والصدق والإخلاص والاجتهاد قام الله سبحانه له بما ضمنه من الرزق والكفاية والنصر وقضاء الحوائج فإنه سبحانه ضمن الرزق لمن عبده والنصر لمن توكل عليه واستنصر به، والكفاية لمن كان هو همه ومراده، والمغفرة لمن استغفره، وقضاء الحوائج لمن صدقه في طلبها ووثق به وقوى رجاءه وطمعه في فضله وجوده، فالفطن الكيس إنما يهتم بأمره وإقامته وتوفيقه لا بضمانه فإنه الوفي الصادق ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ١١١]. فمن علامات السعادة صرف اهتمامه إلى أمر الله دون ضمانه، ومن علامات الحرمان فراغ قلبه من الاهتمام بأمره وحبه وخشيته والاهتمام بضمانه والله المستعان<sup>(١)</sup>.

(١) «الفوائد» [١٣٦-١٣٧] ط. دار إحياء الكتب العربية.

## سبل زيادة التوكل

التوكل - إخوتاه- من الإيمان ينمو بنمائه ويزيد بزيادته وكل ما كان سبيلاً لزيادة الإيمان فهو من عوامل زيادة التوكل ورسوخه في القلب والموفق من وفقه الله والسعيد من اصطفاه واجتباه وأهمه ما يكون سبيلاً لمحبتته ورضاه، ومما تجدر الإشارة إليه في هذا الصدد ما يلي:

### ١- معرفة الأسماء والصفات والتعبد لله بها:

على قدر اليقين في كمال صفات الله ومعرفة معانيها والتعبد لله بها يكون التوكل، فمن أيقن بأن الله هو الغني الكريم الملك الحي القيوم الذي لا يعجزه شيء، ولا يقع في كونه أمر إلا بإذنه وتدبيره، وأن خزائن رزقه مملوءة لا تنفد، وأن نعمه كثيرة عظيمة لا تحصى، وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يُونُسُ: ٢١]. وقال جَلَّالُهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ بَلَّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطَّلَاق: ٣]. كل من وثق في عظمة الله وقدرته وقوته وحكمته توكل عليه ولا بد وكما ازداد علمه ويقينه بذلك ازداد توكله على ربه وتفويضه الأمر إليه جَلَّالُهُ قال الإمام ابن القيم عليه رحمة الله: التوكل حال مركبة من مجموع أمور لا تتم حقيقة التوكل إلا بها فأول ذلك معرفة الرب وصفاته من قدرته وكفايته وقيوميته وانتهاء الأمور إلى علمه وصدورها عن مشيئته وقدرته، وهذه المعرفة أول درجة يضع بها العبد قدمه في مقام التوكل<sup>(١)</sup> كل من كان بصفات الله وأسمائه أعرف؛ كان توكله أصح وأقوى فتعلم صفات ربك من كلامه، طالع صفات الله في عظمة تدبيره وفي التفكير فيما حولك، فالله هو الغني القوي، الله هو العظيم الكريم، الله هو العزيز الحكيم فسلم أمرك إليه وفوض الأمور كلها له، وصدق في التوكل عليه، وأوليس الله بقادر على أن يكفيك

(١) «تهذيب مدارج السالكين» ص [٣٣٧] ط. المكتبة القيمة.

ويحميك؟! أو ليس الله بقادر على أن ينصرك ويعليك؟! أو ليس الله بقادر على أن يعافيك ويشفيك؟! احذر أن يرى الله في قلبك التفاتاً إلى غيره أو ثقة في سواه، بل أحسن الظن بربك وتوكل في كل الأمور عليه.

لا يأس يسكننا فإن كبر الأسي وطغى فإن يقين قلبي أكبر  
بمنهج الرحمن أمن مخاوفي وإليه في ليل الشدائد نجأر

إن الذي يملك النفع والضرر وحده هو الله فكيف يلجأ إلى غيره، وكيف يلتفت عبد إلى غير ربه ومولاه قال ربنا: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ ﴾ (١٠٦) وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿ [يُونُسُ: ١٠٦-١٠٧]. قال الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ نَادَعُوا مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴾ [قِطْمِيرٌ: ١٣]. وقال سبحانه وتعالى: ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ اللَّهُ بِقَلِيلًا مَّا تَدْكُرُونَ ﴾ [الْبَنَاتُ: ٦٢].

## ٢- النظر في سير الصالحين:

النفوس طبعت على التأسي ومن أهم الوسائل التربوية الكريمة النظر في سير المتقين ومطالعة أحوالهم في حسن توكلهم على الله عزَّجَلَّ لاسيما سيرة الأنبياء والرسل الذين هم أكمل الخلق عبودية لله وأقومهم بأمره وأعرفهم بدينه لذا فهم القدوة الكريمة والأسوة العظيمة التي يطالعها المسلم في طريق سيره إلى ربه فيأنس بها ويعتبر بما كان فيها قال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [يُونُسُ: ١١١]. وبعد أن ذكر الله عزَّجَلَّ في سورة الأنعام ثمانية عشر نبياً قال لرسوله محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأمته تبع له في ذلك: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْتُهُمْ أَقْتَدِهِ ﴾ [الْأَنْعَامُ: ٩٠]. التأمل في سيرة الأنبياء والوقوف على ما كان في حياتهم من صبر وثبات وتضحية وجهاد، وثقة ويقين

يبعث في النفس التأسي بهم ويرسخ التوكل في القلب، ومن أهم الأمور في ذلك دراسة السيرة النبوية الكريمة والوقوف على مواطن العبرة فيها، واستخراج الدروس المستفادة منها فهي أصدق صورة للعبودية لله عَزَّجَلَّ وأعظم أسوة يجدها المرء في سيرة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن بعد ذلك النظر في سيرة الصحابة وفتوحاتهم ونشرهم للدعوة والدين وثباتهم في كل موطن حتى أعز الله بهم دينه وقاموا بالحق خير قيام، وفي حياة السلف من بعدهم تجد كذلك العظة والعبرة فانظر في كتب التراجم والتاريخ أو في الكتب التي تعنى بطرح مثل هذه القضايا الإيمانية المهمة.

### ٣- التضرع والدعاء:

من أكرم النعم وأنفعها أن يمن الله على عبده بالإيمان ومعانيه العظيمة، والله تعالى رحيم كريم يُحِبُّ أن يسأل، ويجب أن يُنعم وأن يرزق؛ لذا تذلل لربك في كل سجدة، وفي كل صلاة وفي كل آن أن يرزقك الله حسن التوكل عليه، وألحَّ على الله في السؤال حتى تجد أن التوكل صار شعار حياتك وأصلها فإذا أحسست بتلك النعمة واستشعرت بحصول هذه المنة سل الله أن يثبتك عليها وصدق الله يصدقك واستعن بالله يعنك وتوكل على الله يكفك والله المستعان وإليه الملتهج وإليه المشتكى ولا حول ولا قوة إلا به.

